شريح الكندي

أعــلام القضــاء

obeikandl.com

obeikandl.com

الفقيه القاضي شريح الكندي

أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر ابن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي؛ من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية والإسلام، واستقضاه عمر بن الخطاب ﷺ على الكوفة، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير، واستعفى الحجاج ابن يوسف من القضاء فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات.

كان أعلم الناس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة، قال ابن عبد البر: وكان شاعراً محسناً، وهو أحد السادات الطلس [1].

ولما أراد عمر بن الخطاب أن يولي شريح القضاء كتب إليه: إذا أتاك أمر في كتاب الله، فاقض به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله ﷺ فاقض به ؛ فإن لم يكن فيهما، فاقض بما قضى به أئمة الهدى، فإن لم يكن فأنت بالخيار، إن شئت تجتهد رأيك، وإن شئت تؤامرني، ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك.

وكان يحب المزاح، فقد دخل عليه عدي بن أرطاة فقال له: أين أنت أصلحك الله فقال: بينك وبين الحائط، قال: استمع مني، قال: قل أسمع، قال: إني رجل من أهل الشام، قال: مكان سحيق، قال: تزوجت عندكم، قال: بالرفاء والبنين، قال: وأردت أن أرحلها، قال: الرجل أحق بأهله، قال: وشرطت لها دارها، قال: الشرط أملك، قال:

(١) والأطلس: الذي لا شعر في وجهه. والأربعة هم: عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة، والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم، والقاضي شريح المذكور.

فاحكم الآن بيننا، قال: قد فعلت، قال: فعلى من حكمت قال: على ابن أمك، قال: بشهادة من قال: بشهادة ابن أخت خالتك [١].

وكان سبب تولية شريح القضاء أن عُمَر بْن الخطاب أخذ من رجل فرساً على سوم يحمل عليه رجلاً، فعطب الفرس فَقَالَ عُمَرُ: اجعل بيني وبينك رجلاً فَقَالَ: الرجل: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي فأتيا شريحاً فقال: يا أمير المؤمنين أخذته صحيحاً سليماً على سوم، فعليك أن ترده سليماً كما أخذته قال: فأعجبه ما قَالَ: ثم بعثه قاضياً، ثم قال: ما وجدت في كتاب الله فالزم السنة فإن لم يك في السنة فاجتهد رأيك[٢].

وكانت وفاة القاضي شريح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة [٣].

ولما وقعت فتنة ابن الزبير اعتزل شريح القضاء، وقال: لا أقضي فبقي لا يقضي تسع سنين. ولما انصرف يوماً من مجلس قضائه، فاعترضه رجل فقال له: أما حان لك أن تخاف الله؟ كبرت سنك، وفسد ذهنك، فصارت الأمور تجوز عليك. فقال: والله، لا يقولها أحد بعدك. فلزم بيته حتى مات.

وكان شريح يقول للشاهدين: إنما يقضي على هذا الرجل أنتما، وإني لمتق بكما فاتقيا.

وكان إذا سأل كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وشطر الناس علي غضاب.

---

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ١٩١.
(٣) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٤.

وكان لشريح بيت يخلو فيه يوم الجمعة، لا يدري الناس ما يصنع فيه.

ولبث شريح في فتنة ابن الزبير تسع سنين معتزلا لها لا يسأل عن أحداثها حتى لا يميل إلي أي طرف، فقيل له: قد سلمت. قال: كيف بالهوى.

عَنه قال: ما تخيرت ولا تخبرت يعني في الفتنة، ولا كلمت مسلماً ولا معاهداً منذ وقعت الفتنة، فقال له رجل: لو كنت مثلك لسرني أن أموت الآن، قال: فما تأمرني بما في قلبي ولم يلتق فئتان إلا سرني أن يغلب إحداهما [1].

وكان شريح شاعراً معجباً [2].

وكان شريح إِذَا دخل السوق يقوم عند درج المسجد، فيقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم ينصرف.

وكان شريح يقبل الهدية ويثيب عليها.

مواقف من حياته رحمه الله

اذهب فأنت من أفضل الناس

وروي أن علياً ﷺ قال: اجمعوا لي القراء، فاجتمعوا في رحبة المسجد، فقال: إني أوشك أن أفارقكم، فجعل يسائلهم: ما تقولون في كذا ما تقولون في كذا وشريح ساكت، ثم سأله، فلما فرغ منهم قال: اذهب فأنت من أفضل الناس، أو من أفضل العرب.

رأيت رجالاً يضربون نساءهم

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٨٩.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠١.

وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب، فنقم عليها شيئاً فضربها، ثم ندم وقال:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ::: فشلت يميني يوم أضرب زينبا

أأضربها من غير ذنب أتت به.. فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا

فزينب شمس والنساء كواكب ::: إذا طلعت لم تبق منهن كوكبا وهكذا [1]

ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده

ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان: " يا أمير المؤمنين، قد ضبطت لك العراق بشمالي، وفرغت يميني لطاعتك، فولني الحجاز "، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، وكان مقيماً بمكة، فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال لهك لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعتها قلت: بغضاً في لقائك وفراراً من قضائك. فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع، لبغضهم له، فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً [2].

وأنك وإياهم لعلى بساط واحد

وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون: أما بعد فإنك أنت

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٢.
(٢) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٣.

الذي بعين من لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب، والمكان الذي خلفته لم يعجل أمرءاً حمامه ولم يظلمه أيامه، وأنك وإياهم لعلى بساط واحد؛ إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام [1].

جاءوا أباهم عشاء يبكون

وعن الشعبي قال: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت، فقلت أنا: ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي أن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاء يبكون[2].

أكان مؤمناً!

وسئل شريح عن الحجاج: أكان مؤمناً قال: نعم، بالطاغوت، كافراً بالله تعالى.

فإنهن النساء

عن الشعبي قال، قال لنا شريح: يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء، قلنا: وكيف ذلك يا أبا أمية؟ قال: رجعت يوماً من جنازةٍ مظهراً فمررت بخباءٍ فإذا بعجوز معها جارية رؤد، فاستسقيت فقالت: اللبن أعجب إليك أم الماء أم النبيذ؟ قال قلت: اللبن أعجب إلي. قالت: يا بنية اسقيه لبناً فإني أظنه غريباً، فسقتني، فلما شربت قلت: من هذه الجارية؟ قالت: هذه بنتي زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم ثم من بني حنظلة ثم من بني طهية، قلت: أتزوجينيها، قالت: نعم إن كنت كفؤنا، قال: فانصرفت إلى منزلي، فامتنعت من القيلولة، فلما صليت الظهر وجهت إلى إخواني الثقات:

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٣.
(٢) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٣.

مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد فصليت العصر ثم رحت إلى عمها وهو في مسجده، فلما رآني تنحى لي عن مجلسه، فقلت: أنت أحق بمجلسك، ونحن طالبو حاجةٍ، فقال: مرحباً بك يا أبا أمية، ما حاجتك؟ قلت: إني ذكرت زينب بنت أخيك، فقال: والله ما بها عنك رغبة ولا بك عنها مقصر، قال: وتكلمت فزوجني ثم انصرفت فما وصلت إلى منزلي حتى ندمت وقلت: ماذا صنعت بنفسي، فهممت أن أرسل إليها بطلاقها، ثم قلت: لا أجمع بين حمقتين، ولكني أضمها إلي، فإن رأيت ما أحب حمدت الله تعالى، وإن تكن الأخرى طلقتها. فأرسلت إليها بصداقها وكرامتها، فلما أهديت إلي وقام النساء عنها قلت: يا هذه إن من السنة إذا أهديت المرأة إلى زوجها أن تصلي ركعتين خلفه ويسألا الله عز وجل البركة، فقمت أصلي فإذا هي خلفي، فلما فرغت رجعت إلى مكانها، ومددت يدي فقالت: على رسلك، فقلت: إحداهن ورب الكعبة، فقالت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد، فإني امرأة غريبة، ولا والله ما ركبت مركباً هو أصعب علي من هذا، وأنت رجل لا أعرف أخلاقك، فخبرني بما تحب آته وبما تكره أزدجر عنه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك. قال فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد فقد قدمت خير مقدمٍ، قدمت على أهل دارٍ زوجك سيد رجالهم، وأنت إن شاء الله سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا، قالت: فحدثني عن أختانك [1]، أتحب أن يزوروك؟ قال قلت: إني رجل قاضٍ وأكره أن يملوني، وأكره أن ينقطعوا عني، قال: فأقمت معها سنةً أنا كل يومٍ أشد سروراً مني باليوم الذي مضى، فرجعت يوماً من مجلس القضاء فإذا عجوز تأمر وتنهي في منزلي، فقلت: من هذه يا زينب؟ قالت: هذه

(١) أصهارك.

ختنتك، هذه أمي، قلت: كيف حالك يا هذه؟ قالت: كيف حالك يا أبا أمية، وكيف رأيت أهلك؟ قال قلت: كل الخير، قالت: إن المرأة لا تكون أسوأ خلقاً منها في حالتين: إذا ولدت غلاماً وإذا حظيت عند زوجها، فإن رابك من أهلك ريب فالسوط السوط، قلت: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتني الرياضة وأحسنت الأدب. فكانت تجيئني في كل حولٍ مرةً فتوصي بهذه الوصية ثم تنصرف، فأقمت معها عشرين سنة ما غضبت عليها يوماً ولا ليلةً، إلا يوماً وكنت لها ظالماً وذلك أني ركعت ركعتي الفجر وأبصرت عقرباً فعجلت عن قتلها فكفأت عليها الإناء وبادرت إلى الصلاة وقلت: يا زينب إياك والإناء، فعجلت إليه فحركته فضربتها العقرب، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أمص إصبعيها وأقرأ عليهما المعوذتين، وكان لي جار يقال له قيس بن جرير لا يزال يقرع مريئته، فعند ذلك أقول:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ::: فشلت يميني يوم أضرب زينبا

وأنا الذي أقول:

إذا زينب زارها أهلها ::: حشدت وأكرمت زوارها
وإن هي زارتهم زرتها ::: وإن لم تكن لي هوى دارها

يا شعبي، فعليك بنساء بني تميم فإنهن النساء [1].

أحسنت

عن عامر، قال: جاءت امرأة إلى علي ﷺ تخاصم زوجها طلقها فقالت: قد حضت في شهرين ثلاث حيض. فقال علي لشريح: اقض بينهما: قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقض بينهما. قال: إن جاءت من بطانة أهلها من يرضى دينه وأمانته يزعم أنها حاضت

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ٣٧١.

ثلاث حيض تطهر عند كل قرء، وتصلي، جاز لها، وإلا فلا. قال علي: أحسنت.

ما الذي أحدثت في القضاء؟

عن أبي هاشم، أن فقيها جاء إلى شريح فقال: ما الذي أحدثت في القضاء؟ قال: إن الناس أحدثوا، فأحدثت.

قد علمت من أين أتيت

عن أبي حصين، قال: قال خصم لشريح: قد علمت من أين أتيت، فقال شريح: لعن الله الراشي والمرتشي والكاذب.

بل سنتكم بينكم

واختصم إليه غزالون، فقال بعضهم: إنه سنة بيننا، قال: بل سنتكم بينكم.

لا حبس عن فرائض الله

قال عطاء بن السائب: مر علينا شريح فقلت: رجل جعل داره حبسا على قرابته، قال: فأمر حبيبا، فقال: أسمع الرجل: لا حبس عن فرائض الله.

بل هو ولد هرتي

عن مجاهد قال: اختصم إلى شريح في ولد هرة، فقالت امرأة: هو ولد هرتي. وقالت الأخرى: بل هو ولد هرتي، فقال شريح: ألقها مع هذه، فإن هي قرت ودارت واسبطرت [1] فهي لها، وإن هي هرت وفرت واقشعرت، فليس لها.

(١) اسبطرت، أي امتدت للرضاع.

هو الذي أخرجها

قال أبو إسحاق السبيعي: خرجت قرحة بإبهام شريح، فقيل: ألا أريتها طبيبا؟ قال: هو الذي أخرجها.

فأحمد الله عليها أربع مرات

وعن الشعبي، قال شريح: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني.

إنه ابنهما يرثهما ويرثانه

وعَن شريح: أن رجلين وقعاً على جارية في طهر واحد، فأتت بولد، فادعاه كلاهما، فكتب بذلك شريح على عُمَر فكتب: إنه ابنهما يرثهما ويرثانه، ولو بينا لبين لهما، وللباقي منهما ولكنهما لبسا فلبس عليهما فهو للباقي منهما [1].

أفي كتاب الله وجدت هَذَا أو في سنة رسول الله ﷺ ؟

عَن حكم بْن عقال، أن شريحاً أتى في امرأة تركت ابنى عمها أحدهما زوجها والآخر أخوها، لأمها، فَقَالَ: شريح: للزوج النصف، وللأخ من الأم ما بقى، فارتفعوا إِلَى علي ﷺ فقالوا: إن شريحاً قال: كذا وكذا، قال: ادعوا لي العَبْد! فأتاه، فقال: أفي كتاب الله وجدت هَذَا أو في سنة رسول الله ﷺ قال: في كتاب الله؛ قَالَ: الله:{وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [الأنفال: ٧٥]، قال: أفهو هَذَا؟ قَالَ: علي: للزوج النصف وللأخ السدس وما بقي بينهما [2].

---

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٩١.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٣.

قص فمثلك يقص

حَدَّثَنَا علي بْن عَبْد اللهِ بْن معاوية بْن ميسرة بْن شريح، قال: حَدَّثَنِي أبي، عَن أبيه، عَن ميسرة، عَن شريح قال: مررت مع علي بْن أبي طالب ﷺ في سوق الكوفة وفي يده لدرة وهو يقول: يا معشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا لا تمنعوا قليل الربح فتحرموا كثيراً. حتى انتهى إِلَى قاص يقص ونحن حديثو عهد برَسُوْلِ اللهِ ﷺ أما أني أسألك عَن مسألتين إن خرجت منهما، وإلا أوجعتك ضرباً، قال: فاسأل يا أمير المؤمنين قال: ما ثبات الإيمان وزواله؟ قال: ثبات الايمان الورع، وزواله الطمع، قال: قص فمثلك يقص.

هَذَا خبر ما عندنا

عَن شريح قال: مررت مع علي بْن أبي طالب على المقابر، فقال: يا أهل المقابر أما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد اقتسمت، وأما الذراري فقد نكحت، هَذَا خبر ما عندنا، هاتوا خبر ما عندكم ثم التفت إلي فقال: لو أذن لهم في الجواب لقالوا:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ١٩٧] (١).

عمن أخذت هذه القصة؟

عَن شريح: قال: تقدمت إِلَى شريح امرأة، فقالت: أيها القاضي أني جئتك مخاصمة، فَقَالَ لَهَا: وأين خصمك؟ قالت: أنت خصمي، فأخلى المجلس، قَالَ: لها تكلمي، قالت: إني امرأة لي إحليل، ولي فرج، قال: قد كان لأمير المؤمنين في هَذَا قضية، ورث من حَيْثُ يجيء البول، قالت: إنه يجيء منهما جميعاً، قَالَ: فانظري من أين

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٦.

يسبق، قالت ليس شيء منهما يسبق صاحبه إنما يجيئان في وقت، وينقطعان في وقت، قال: إنك لتخبريني بعجيب، قالت: وأخبرك بأعجب من ذلك، تزوجني ابن عم لي، فأخذ مني خادماً فوطئتها فأولجتها، وإنما جئتك لما ولد لي لتفرق بيني وبين زوجي، فقام من مجلس القضاء فدخل علي ﷺ، فأخبره، فَقَالَ: علي: علي بالمرأة، فأدخلت، فقال: أحق ما يقول القاضي؟ قالت: هو كما قال: قَالَ: فدعا بزوجها، فقال: هذه امرأتك وابنة عمك؟ قال: نعم، قال: فعلمت ما كان؟ قال: نعم، قال: أخدمتها خادماً فوطئتها فأولدتها ثم وطئتها أنت بعد؟ قال: نعم، قال: لأنت أحسن من خاصي أسد، علي بدينار الخادم، وامرأتين فجيء بهم، فقال: خذوا هذه المرأة، إن كانت امرأة فادخلوها بيتاً وألبسوها ثياباً، وعدوا أضلاع جنبيها، ففعلوا، فقال: عدد الجنب الأيمن أحد عشر، وعدد الأيسر اثنا عشر؛ فَقَالَ: علي: الله أكبر فأمر لها برداء وحذاء وألحقها بالرجال.فَقَالَ: زوجها: يا أمير المؤمنين زوجتي وابنة عمي، فرقت بيني وبينها، فألحقتها بالرجال؛ عمن أخذت هذه القصة؟ قال: إني أخذتها عَن أبي آدم ﷺ. إن الله عز وجل خلق حواء، ضلع من أضلاع آدم فأضلاع الرجال، أقل من أضلاع النِّسَاء بضلع ثم أمر بهم فأخرجوا [1].

أما كان من رقعة تستر بها وجهك؟

عَن شريح، قال: كنت مع علي بْن أبي طالب في المسجد جالساً، فجاء رجل فشكا إليه الحاجة، وكثرة العيال، فقال: يا عَبْد اللهِ أما كان من رقعة تستر بها وجهك؟[2]

أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٦.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٨.

وروي أن علياً وجد درعاً له عند يهودي التقطها فعرفها فقال: درعي سقطت عن جمل لي أورق.فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فاتيا شريحاً، فلما رأى شريح علياً قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس علي عليه السلام فيه، ثم قال: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول:«**لا تساووهم في المجلس وألجئوهم إلى أضيق الطريق، فإنَّ سبوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم**». ثم قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت مني وعرفتها، قال شريح: يا يهودي ما تقول؟ قال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبراً مولاه والحسن ابنه فشهدا إنها لدرعه، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك فلا نجيزها.فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟ قال: اللهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ والله لأوجهنك إلى بانقيا تقضي بين أهلها أربعين ليلة، ثم قال لليهودي: خذ الدرع. فقال اليهودي: أمير المؤمنين إنها لدرعك سقطت عن جمل أورق التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فوهبها له وأجازه بتسعمائة، وقتل معه يوم صفين [1].

لئن رأيت أني لا أخطئ لبئس ما رأيت

كان شريح يطوف فجاء إليه رجل، فقال: كيف القضاء في كذا وكذا؟ قال: كذا وكذا فورب هذه البلية لقد قضيت علي بخلاف هَذَا!

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٠.

قال: فانتزع يده من يده، وقال: لئن رأيت أني لا أخطئ لبئس ما رأيت[١].

وما كان منذ أسكن أسكن منه الليلة

قال الأصمعي: مات ابن شريح، فلم يشعر بموته، ولم تصرخ عليه صارخة؛ فقيل له: يا أبا أمية، كيف ابنك؛ قال: قد سكن علزه، ورجاه أهله، وما كان منذ أسكن أسكن منه الليلة [٢].

أنت رجل تعرف نعمة الله على غيرك وتنساها من نفسك

عَن الشعبي؛ قال: جاء الأشعث بْن قيس إِلَى شريح في مجلس القضاء، فقال الأشعث: مرحباً بشيخنا وسيدنا ها هنا، ها هنا، فأجلسه معه فإذا رجل جالس بين يدي شريح فقال: مالك يا عَبْد اللهِ؟ قال: جئت أخاصم الأشعث بْن قيس؛ قال شريح للأشعث: قم مع خصمك؛ قال الأشعث: وما عليك أن تقضي وأنا ها هنا؛ قال شريح: قم قبل أن تقام، فقام الأشعث وهو مغضب؛ ثم قال: عهدي بك يابن أم شريح وإن بثيابك السوس؛ قال شريح: أنت رجل تعرف نعمة الله على غيرك وتنساها من نفسك [٣].

لا نسب أموات قريش ولا نعصي أحياها

قال الهيثم بْن عدي: شهدت شريحاً، ودخل على الضحاك بْن قيس الفهري؛، فقال الضحاك: يا شريح هَلْ رأيت بناءً قط أحسن من هَذَا؟ قال: نعم قد رأيت ما هو أحسن من هَذَا؛ قال: كذبت والله يا شريح؛ قَالَ: شريح: سبحان الله! وأين السماء وما بناها؛ قال

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٩.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٦.
(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٦.

الضحاك: أقسم بالله لتسبن علي بْن أبي طالب؛ قال شريح: أقسم بالله لا أفعل؛ قال: لم؟ قال: لأنا لا نسب أموات قريش ولا نعصي أحياها؛ قال: جزاك الله خيراً [١].

أما كنتم فاعلين؟

قَالَ: شريح: أرأيتم لو جاءكم ملك بوحي من السماء حتى إِذَا كان بحَيْثُ يسمعكم الصوت افترش أجنحته ثم قال: يأيها الناس!{لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩]، أما كنتم فاعلين؟ قالوا: كنا والله متناهين، فقال: فقد جاءكم بها الملك أكرم ملائكة الله عليكم إِلَى أكرم أهل الأرض عليه [٢].

إياك والحنانة، إياك والمنانة، إياك والأنانة

قال يزيد بن إبراهيم الحوري: كان شريح إِذَا جلس للقضاء يجلس وعلى رأسه سيامان فجاءته امرأة برجل تزوجها، لها ولد من غيره يطلب النفقة، وكان شريح سمح الوجه، فلما جلس الرجل بين يديه ضحك، فَقَالَ لَهُ شريح: أتضحك مني، لا أم لك؟ فقال: أصلحك الله ما مثلك يضحك منه ولكن أضحك من وصية أوصاني بها والدي، فخالفته إِلَى غيره؛ فقال: ما أوصاك به أَبُوك؟ قال: أوصاني ألا أتزوج بذات الجلاوزة؛ فقال: شريح: فإذا كان في العشى فأتي إلي حتى أوصيك بوصايا تصلها إِلَى وصية أبيك؛ قال: أوصني ها هنا؛ قال: إني لم أجلس ها هنا للحديث فلما كان العشى راح إليه، فَقَالَ لَهُ شريح: إياك والحنانة، إياك والمنانة، إياك والأنانة، إياك والنقارة، إياك والرقراقة، إياك والربور ربوق إياك وذات الجلاوزة، فَقَالَ لَهُ:

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٣.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٦.

أصلحك الله فسره لي؛ قال: أما الحنانة، فالمرأة التي كان لها زوج، فهي تحن إليه، وأما المنانة فهي التي تمن على زوجها بمالها، وأما الأنانة فهي التي تئن عند الجماع، وأما النقارة فهي التي إِذَا رآها زوجها تكون فوق سطحها، وأما الرقراقة فهي الصغيرة التي تفشي سر زوجها، وأما الرنق ورنوق فهي الرسحاء، وأما ذات الجلاوزة. فهي التي لها أولاد من غيره، قال: فأشر على قَالَ: عليك بالزرق فإن لهن يمنا [١].

ألا أعلمتها الرجعة كما أعلمتها الطلاق؟

عَن عمير بْن يزيد؛ قال: كنت عند شريح، فجاء رجل وامرأته يختصمان؛ فقالت المرأة: طلقني ولم يعلمني الرجعة حتى انقضت العدة، فتزوجت رجلاً ودخل عليها زوجها؛ فقال: ألا أعلمتها الرجعة كما أعلمتها الطلاق؟ ولم يردها عليه [٢].

لم ترون ذلك؟

عَن الشعبي؛ قال: جاءت امرأة تخاصم زوجها إِلَى شريح في مهرها، وقد كانت قالت لزوجها: طلقني، ولك ما عليك، ففعل، فقالت: لا حتى تطلقني ثلاثاً، ففعل، فَقَالَ: جلساء شريح: أما امرأتك فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك ولا نرى مالك إلا قد ذهب؛ فَقَالَ: شريح: لم ترون ذلك؟ والله إن الإسلام إذاً أضيق من حد السيف؛ أما امرأتك فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك، وأما مالك فلك [٣].

وأين ربح مثله؟

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٢٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٣٤.
(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢٤١.

عَن شريح، قال: اختصم إليه رجلان في دار باعها أحدهما صاحبها فرد البيع فَقَالَ: الرجل: أين غلة داري؟ فَقَالَ: شريح: وأين ربح مثله؟

كيف رأيت؟

عَن الشعبي أن رجلاً شهد عند شريح فلما قام قَالَ: للمشهود عليه: كيف رأيت؟ قَالَ: فرد عليه شريح شهادته [١].

ذاك أحرى ألاَّ تكون ظالماً

عَن الشعبي، قال: قَالَ: رجل لشريح: ما خاصمت إليك قط إلا حكمت علي؛ قال: ذاك أحرى أن لا تكون ظالماً [٢].

إنهما قد اجتمعا على ألف.

- شهد رجلان عند شريح على رجل، فشهد أحدهما بألف وخمسمائة دينار وشهد الآخر بألف، فقضى شريح بأقل المالي، فقال الرجل: أتقضي علي وقد اختلفا؟ فقال شريح: إنهما قد اجتمعا على ألف.

أدخلوها داراً لها بابان

قال ابن سيرين: اشترى رجل بغلة فوجدها حمارة، فخاصم فيها إلى شريح فقال: أدخلوها داراً لها بابان ثم أخرجوا البغال من باب والحمير من باب، فإن اتبعت الحمير فهي حمارة، وإن اتبعت البغال فليست بحمارة.

اذهبي فداعبيه

قال هشام بن محمد: تزوج رجل ابنة عبد خياط، فولدت غلاماً

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٤٥.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٥٨.

فانتفى منه، فارتفعت إلى شريح فقال لها: اكشفي عن وجه الصبي فكشفت، فقال شريح: لو كنت حالفاً لحلفت أنه ابنك، ولكن الذي حملك على أن تتزوج ابنة عبد خياط، وأنت رجل من العرب في شرف من العطاء هو الذي حملك على أن تنتفي منه؛ اذهبي فداعبيه [١].

قول شريح في الجراد

قال عامر: سئل شريح القاضي عن الجراد قال: قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحها جناح نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية وبطنها بطن عقوب [٢].

لم ثنّيت عليه الضرب؟

قال: وكان لشريح القاضي ابن يكثر البطالة فنظر إليه شريح يوماً وهو يهارش بكلب له فكتب رقعة إلى معلمه وفيها هذه الأبيات:

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ::: طلب الهراش مع الغواة الرُّجس
فإذا أتاك فغطّه بملامة ::: وعظته موعظة الرفيق الأكيس
فإذا هممت بضربه فبدرةٍ ::: وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس
وليحملن مني إليك صحيفةً ::: نكراء مثل صحيفة المتلمّس
اعلم بأنك ما أتيت فنفسه ::: مع ما يجرّعني أعزُّ الأنفس

فضربه المعلم عشراً عشراً. فقال له شريح: لم ثنّيت عليه الضرب؟ فقال: العشر الأولى للبطالة والثانية للبلادة حيث لا يدري ما يحمل [٣].

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٣٠، ٢٠٢.
(٢) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١/ ٣٥٩.
(٣) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٢٤٧.

تركته يأمر وينهي

وخرج شريح من عند زياد وهو يجود بنفسه، فقيل له كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهي يوهمهم أنه لا بأس عليه فلم يلبثوا أن نعى لهم، فقيل له في ذلك فقال: نعم تركته يأمر بالوصيّة وينهى عن البكاء [١].

أحب الأشياء إليه الخبز واللحم؟

شهد رجل عند شريح فقال المشهود عليه: أتقبل شهادته وأن أحب الأشياء إليه الخبز واللحم؟ فتوقف في إمضاء شهادته فقيل له: لمَ توقفت؟ فقال: إنه يعني أنه يشهد بأكلة [٢].

لا خير فيها إذن!.

عن محمد بن سيرين، قال: كان رجل عياب فأبصر بغلة تحت شريح، فقال: أبا أمية، إن بغلتك لفارهة! قال: إنها إذا ربضت لم تقم حتى تبعث. قال: لا خير فيها إذن! [٣].

وعد خيراً

قال الأعمش: اشتكى شريح رجله فطلاها بالعسل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا: كيف تجدك؟ قال: صالحاً، فقالوا: ألا أريتها الطبيب؟ فقال: قد فعلت فقالوا: فما قال لك؟ قال: وعد خيراً.

هل رأيت البرق قط؟

عرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري: كيف غزارتها؟ قال:

(١) الميمني، سمط اللآلي، ص ٦٨.
(٢) محاضرات الأدباء، ١ / ٧، ٩٣، ٢٥٢ و ٢ / ٥٢.
(٣) الجاحظ، البغال، ص٥.

احلب في أي إناء شئت، قال: فكيف وثاقها؟ قال: احمل على حائط ما شئت، قال: كيف وطاؤها؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: هل رأيت البرق قط؟

ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي

عن الشعبي، قال: جاء رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: اشتريتُ من هذا دارًا فوجدتُ فيها عشرة آلاف درهم، فقال: خذها، فقال له: إنما اشتريتُ الدارَ.

فقال للبائع: فخذها أنت، فقال له: ولم وقد بعته الدار بما فيها فأدار الأمر بينهما.

فأتى الوالي زياد بن أبيه فأخبره، فقال: ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي، وقال لشريح: أدخل بيت المال فألق في كل جراب قبضة حتى تكون للمسلمين.

انج بنفسك

تزوج بعض الخصيان في زمن شريح بامرأة، فأتت بولد، فتبرأ الخصي منه، فترافعا إلى شريح فألحق الولد به وألزمه أن يحمله على تلك الحال. فاستقبله خصي آخر، فقال: انج بنفسك فإن شريحاً يريد أن يفرق أولاد الزنا على الخصيان[1].

مَن هم يا أَبا أمية؟

ومرّ شريح بمجلس بهمدان فسلّم فردّوا عليه وقاموا ورحبّوا به فقال: يا معشر همدان إني لأعرف أَهل بيت منكم لا يَحِلّ لهم الكذب فقالوا: مَن هم يا أَبا أمية؟ فقال: ما أَنا بالذي يخبركم فجعلوا يسألونه

(١) التذكرة الحمدونية، ١ / ١١٠، ١٥٦، ٣ /٣٩، ٣ /٢١٥.

وتبعوه ميلاً أَو قريباً منه ويقولون له: من هم؟ وهو يقول: لا أُخبركم فانصرفوا عنه يتلّهفون: ليته أخبرنا بهم[1].

فعلى من قضيت؟

قيل: أتى عدي بن أرطاة شريحاً القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها إليه، فلما جلس عدي بين يدي شريح، قال عدي: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إني امرؤ من أهل الشام، قال: بعيد الدار. قال: وإني قدمت العراق، قال: خير مقدم. قال: وتزوجت هذه المرأة، قال: بالرفاء والبنين. قال: وإنها ولدت غلاماً، قال: ليهنك الفارس. قال: وقد أردت أن أنقلها إلى داري، قال: المرء أحق بأهله. قال: كنت شرطت لها دارها، قال: الشرط أملك. قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت. قال: فعلى من قضيت؟ قال: على ابن أمك[2].

من كلامه رحمه الله:

- عَن أبي حصين، قال: كان شريح إِذَا قيل له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام عديد كندة.

- عَن شريح، عَن عُمَر، قال: لا تغالوا بصدقات النِّسَاء، فإنها لو كانت مكرمة عند الله، أو تقوى، كان أحقكم بها رسول الله ﷺ، والله ما أصدق رسول الله أحداً من نسائه، ولا أصدق أحدا من بناته أكثر من اثنى عشر أوقية.

- عَن شريح قال: كتب إِلَى عُمَر: بخمس من صوافي الأمراء، إن الاسنان سواء والأصابع سواء، وفي عين الدابة ربع ثمنها، وإن

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٨ هـ ١٩٧٧م، ص ٩٠.
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣/١٥٠، ٤ / ١١.

الرجل يسأل عند موته عَن ولده، فأصدق ما يكون عند موته، وجراحة الرجال والنِّسَاء سواء إِلَى ثلث دية الرجل.

- وعَن الشعبي قال: كتب شريح إِلَى عُمَر في رجل أهدى إِلَى رجل هدية، فماتا جميعاً، فكتب إليه عُمَر: إن كانت الهدية فضلت، والمهدى إليه حي، فهي لورثة المهدى له، وإن لم تفضل فهي لورثة المهدي [١].

- عَن شريح؛ قال: قَالَ: شريح: ما هاجت ريح قط إلا بسقم صحيح أو بشفاء سقيم [٢].

- وكانت كلمة شريح: إنما نحن بالله وله.

- مطل الغنى ظلم.

- عَن الشعبي، أن شريحاً قال: ما التقى رجلان قط إلا بدأ بالسلام أولاهما بالله.

- عَن الشعبي؛ قال: كان شريح يقول: خصمك داؤك، وشهودك شفاؤك، ولا نعنت الشهود، ولا نفهم الخصوم، ولم نسلط على إشعاركم ولا إنصاركم، إنما سلطان أن نقضي بينكم، فمن سلم لقضائنا فيها ونعمت، ومن لا أمرنا به إِلَى السجن حتى يسلم لقضائنا [٣].

عَن الشعبي، قَالَ: كان شريح يورث الأسير، ويقول: إنه أحوج ما يكون إِلَى نصيبه في الميراث إِذَا كان أسيراً في يد العدو، فإما أن يفادوه، حتى يجيء ما جاء [٤].

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠١.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٩.
(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢٣٠.
(٤) أخبار القضاة، ٢ / ٢٤٥.

- عَن شريح؛ قال: البيعان بالخيار ما لم يفترقا.

- عَن شريح، أنه قَالَ: لا شفعة ليهودي، ولا نصراني، ولا لمجوسي، على مسلم.

- قال الشيباني: أخبرني صديق لي قال: سمعني شريح وأنا أشتكي بعض ما غمني إلى صديق لي، فأخذ بيدي وقال: يا بن أخي إياك والشكوى إلى غير الله! فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك.

- وعَن شريح، قال: الشفعة للحيطان.

- مرَّ شريحٌ بقومٍ وهم يلعبون فقال: ما لكم؟! قالوا: فرغنا يا أبا أمية! قال: ما بهذا أمرَ الفارغ [1].

- عَن الشعبي، قال: كان شريح يجيز شهادة، كل ملة على ملتها، ولا يجيز شهادة اليهودي، على النصراني، ولا النصراني على اليهودي، إلا المسلمين فإنه كان يجيز شهادتهم على الملل كلها.

- عَن شريح؛ قال: المسلمون عند شروطهم ما لم يعص الله [2].

- كان شريح إذا جلس للقضاء يلهج بهولاء الكلمات: سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصر.

يقال: كان من دعاء شريح: اللهم إني أسألك الجنة بلا عمل

(١) عن شعبة حدثنا سعيد الجريري قال غنيم بن قيس: كنا نتواعظ في أول الإسلام: ابن آدم اعمل في فراغك لشغلك وفي شبابك لهرمك وفي صحتك لمرضك وفي دنياك لآخرتك وفي حياتك لموتك.

(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٧٥.

عملته. وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته [١].

- وكان شريح يقول إذا ما أتاه الشاهدان: ما دعوتكما ولا أنهاكما أن ترجعا إن شئتما، وما أنا أقضي على هذا المسلم، إن يقض عليه إلا خيركما، وإني متق بكما فاتقيا [٢].

- وقال شريح: الحلم كنز موقر، والحليم مطية الجهول [٣].

- قال شريح: لئن أزاول الأحمق أحب إلي من أزاول نصف الأحمق؛ قيل: يا أبا أمية ومن نصف الأحمق؟ قال: الأحمق المتعاقل.

- قال شريح لرجل: يا عبد الله دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فوالله لا تدع من ذلك شيئاً فتجد فقده.

- عن محمد بن سيرين أن رجلاً شهد عند شريح فقال: (أشهد بشهادة الله)؛ فقال له شريح: لا تشهد بشهادة الله، ولكن اشهد بشهادتك، فإن الله لا يشهد إلا على حق.

- كان شريح يقول: ما التقى رجلان قط إلا بدأ بالسلام أفضلهما، قال الشعبي: فكان قل ما سبق أحد شريحاً بالسلام.

- قال شريح: من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق، فإن قضاها المسؤول استعبده بها، وإن رده رجع حراً، وهما ذليلان، هذا بذل اللؤم وهذا بذل السؤال [٤].

ومن شعره رحمه الله:

تصوبن واستصعدن حتى كأنما ::: يطأن برضراض الحصى جاحم الجمر
ألا كل من يدعى حبيباً، لو بدت ::: مروته يفدي حبيب بني فهر
همام يقود الخيل حتىزيرها ::: حياض المنايا لا تبيت على وتر

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٣٠، ٢٠٢.
(٢) البصائر والذخائر، ٦ / ٣١.
(٣) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١/ ١٣٤.
(٤) محاضرات الأدباء، ١ / ٧، ٩٣، ٢٥٢، ٢ / ٥٢.

هَبطن واستبعدن حتى كأنما ::: يطأن برضراض الحصى جاحم الجمر[1]

و من قول شريح:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ::: فشلت يميني يوم أضرب زينبا

وسبب قوله هَذَا البيت، ما حَدَّثَنِيْ عُمَر بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الحكم، قال: حَدَّثَنَا صلت بْن مسعود، قال: حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن موسى الحرمي، وعَن شريح، قَالَ: تقدمت إلي امرأة معها ابن لها بعد موت الأب وتزويج الأم وقالت:

أبا ميتة أتيناك ::: وأنت المرء يأتيه
أتاك ابني وأماه ::: وكلتانا تفديه
غلام هالك الوال ::: د أرجو أن أربيه
تزوجت فهاتيه ::: ولا يذهب بك التيه
فلو كنت تأيمت ::: لنه نازعتها فيه
ألا أيها الحاكم ::: م هذي قصتي فيه

فقالت الأم:

ألا أيها الحاكم ::: قد قالت لك الجدة
مقالاً فاستمع مني ::: ولا ترهقني رده
غلام هالك الوال ::: د يتيم ضائع الوحده
تزوجت رجاء الخ ::: ير من يحسن لي رفده
فكيف الصبر عَن ابني ::: وكبدي حملت كبده

فَقَالَ: شريح:

قد سمع الحاكم ما قد قلتما ::: ثم قضى بينكما ثم فصل
وبقضاء جائز بينكما ::: إن على الحاكم جهداً إن عقل
أيتها الجدة بيني بالصبي ::: ثم خذي ابنك من ذات العلل

(١) زعم ابن الكلبي، عَن أبيه، أن شريحاً قَالَ: هذه الأبيات؛ لما بعث معاوية حبيب بْن سلكة الفهري لنصرة عُثْمَان فلم يدركه حتى قتل.

فإنها لو صبرت كان لها ::: من بعد دعواها يمين البدل

حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن منصور الرمادي، قال: حَدَّثَنَا أَبُو سلمة، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عوانة، عَن أشعث بْن سليمان؛ أن جده وأمه اختصما إِلَى شريح في صبي فقالت الجدة:

أباميـــــة أتينـــــاك ::: وأنـــت المـــرء نأتيـــه
أتـــاك ابـــني وأمـــاه ::: وكلتانـــا تفدّيـــه
فلـــو كنـــت تأيمـــت ::: لمـــا نازعتـــك فيـــه
تزوجـــت فهاتيـــه ::: ولا يـــذهب بـــه التيـــه
ألا يأيهـــا القاضـــي ::: هـــذي قصـــتي فيـــه

فقالت الأم:

ألا يأيهـــا القاضـــي ::: قـــد قالـــت لـــك الجـــدة
مقـــالاً فاســـتمع مـــني ::: ولا تنظـــرني رده
أعـــزي الـــنفس عَـــن ابـــني ::: وكبـــدي حملـــت كبـــده
فلمـــا كـــان في حجـــري ::: يتيمـــاً ضـــائعاً وحـــده
تزوجـــت رجـــاء الخـــير ::: مـــن يكلـــف لي رفـــده
ومـــن يظهـــر لي الـــود ::: ومـــن يكفـــيني فقـــده

فَقَالَ: شريح:

قد سمع الحاكم مـا قـد قلتمـا ::: ثم قضـى بينكمـا ثم فصـل
هَـذَا قضـاء جـائز بينكمـا ::: إن على القاضي لجهـد إن عقـل
فَقَـالَ: للجـدة بـيني بالصـبي ::: ثم خذي ابنك مـن ذات العلـل
فإنهـا لـو صـبرت كـان لهـا ::: من قبل دعـواه يتبعهـا البـدل

- وكان شريح ربما سئل عَن الشعر، فَقَالَ: يوماً:

أبر علـى الـدنيا الملامـة إنـه ::: حريص على استخلاصها من يلومها[1]

* * *

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٨.